جوانب من النشاط العلمي في الأندلس خلال العصر الأموي (138-400هـ/755-1009م)

د. محمد أبو إمام *

مقدمة:

بدأ المسلمون فتح بلاد الأندلس عام 92هـ/711م وتمكنوا من السيطرة عليها تماماً في عام 95هـ/714م نتيجة للجهود التي بذلها كل من موسى بن نصير، ومولاه طارق بن زياد، وذلك في عصر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان 86 – 96هـ، وصارت الأندلس منذ ذلك الحين إمارة إسلامية تتبع إلى الخلافة بالمشرق، ويعين عليها الخليفة والياً من قبله. وقد عرفت الفترة الممتدة من 95 - 138هـ /714- 755م بعصر الولاة[1].

أما الفترة الممتدة من 138- 316هـ/755-929م فقد اصطلح على تسميتها بعصر الإمارة الأموية حيث تمكن الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل من دخول الأندلس بعد فراره من العباسيين، وأسس دولة أموية أخرى في المغرب بعد سقوطها في المشرق على يد العباسيين[2] واستمرت الإمارة في عقبه إلى أن أعلن أحد أحفاده – وهو عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر لدين الله – تحويل الإمارة إلى خلافة تنافس الخلافة العباسية في المشرق والعبيديين في أفريقية، وقد استمرت فترة الخلافة من 316 – 400هـ/929-1009م[3].

---

* أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك بجامعة نيالا . السودان.

[1] انظر ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح أفريقية والأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1987م ، ص69 وما بعدها. ابن عذارى: أبو العباس احمد بن عذارى، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، حققه ج.س كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة بيروت – لبنان ج2، ص5 – عبد الرحمن علي الحجي، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم – دمشق، الطبعة الثالثة 1407هـ/1987م ص39.

[2] عبد الرحمن علي الحجي، تاريخ الأندلس ص39

[3] المرجع نفسه، ص39 – 40.

وقد بذل المسلمون خلال هذه الفترة جهوداً كبيرة لدعوة الناس إلى الإسلام. وعملوا له بإخلاص أصيل وعمق بعيد، في سلوكهم وتعاملهم ودعوتهم. وتغير بذلك وجه الحياة في جنبات الجزيرة. وغدت الأندلس رباط جهاد وموئل حضارة ومنبت إنسانية كريمة[1].

وقد أسس الأمويون خلال هذه الحقبة الطويلة دولة قوية موطدة الأركان. وقد كانت المؤامرات والفتن والدسائس وحركة الاسترداد النصرانية تحيط بها من كل جانب، وعلى الرغم من ذلك فقد ازدهرت الحياة العلمية فيها أيما ازدهار، وحفلت الأندلس بمجموعة كبيرة من العلماء الذين أثروا فيها جوانب العلم والمعرفة والحضارة. وكان الأمراء والخلفاء هم الذين تولوا رعاية العلم والعلماء والطلاب، وكانوا يغدقون عليهم الأموال ويشجعونهم على البحث العلمي في كافة جوانب المعرفة والعلوم والآداب والفنون. وقد نشط الأندلسيون أيما نشاط في النهضة العلمية لبلادهم التي أصبحت قبلة العلماء وطلاب العلم الذين كانوا يفدون إليها من شتى البقاع، فصارت الأندلس دار علم وحضارة راقية ظل العالم الإسلامي وأوربا ينهلان من معينها لفترة امتدت الى ثمانية قرون إلى أن سقطت (غرناطة) آخر معقل من معاقل المسلمين في هذه البلاد سنة 897هـ/1492م، فانطفأ القبس الذي كان يضئ هذه الجزيرة والعالم من حولها.

والأندلس اسم يثير في النفس حنيناً وشجوناً وشوقاً إلى الماضي البعيد الذي فرطنا فيه كما فرطنا بالأمس القريب في فلسطين، واليوم في بغداد. وقد بكى المسلمون الأندلس دماً ودمعاً، شعراً ونثراً، حسرة وألماً لضياعها وفقدانها وسماها بعضهم بالفردوس المفقود.

[1] المرجع نفسه ، ص211.

وقد لفت نظري أثناء دراستي وتدريسي للتاريخ الأندلسي كثرة العلماء الأندلسيين الذين أسهموا بجهود مقدرة في الحضارة الإسلامية، إذ أنجبت الأندلس عدداً كبيراً من العلماء في كافة فروع المعرفة. وبدا لي أن أتناول هذا النشاط العلمي المكثف في الفترة الممتدة من 138- 400هـ/755- 1009م باعتبارها من أخصب الفترات في التاريخ الأندلسي، وبالطبع لن أستطيع أن أستوفي كافة الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع نظراً لطول الفترة وكثرة العلماء ولذلك سأورد نماذج وشذرات متفرقة هنا وهناك علها تبرز جانباً من الجوانب المشرقة في صفحات تاريخنا الإسلامي الأندلسي الزاهر.

وأشير إلى أنني عندما كنت أعد رسالة الدكتوراة زرت إسبانيا (الأندلس) في صيف عام 1990م لجمع المادة العلمية الخاصة بالبحث، وللوقوف على آثار المسلمين فيها، فكانت أولى المدن التي زرتها هي (مجريط) التي أسسها الأمير عبد الرحمن الأوسط وصارت اليوم (مدريد) عاصمة أسبانيا الحالية، ومن بعدها قرطبة (حاضرة الأندلس) حيث المسجد الجامع الذي لا يزال آية في فن العمران ويقف شاهداً على عظمة الحضارة الإسلامية، ولكنه مع الأسف الشديد حوّل الى كنيسة، وصار معموراً بالصلبان بعد أن كان معموراً بالقرآن، وغرناطة حيث قصر الحمراء وآثار بني الأحمر وأشبيلية بني عباد التي سماها الدكتور حسين مؤنس بالأرملة الطروب، وطليطلة بني ذي النون، وقد اعترتني دهشة شديدة وحزن عميق عند مشاهدتي لتلك الديار التي ملأها المسلمون علماً وفقهاً وحضارة، ولم يعد بها اليوم ما يمت للمسلمين بصلة عدا أثارهم القليلة المتبقية. وكان لسان حالي يردد مع الشاعر الجاهلي عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي:

كأن لم يكن بين الحجون إلي الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر[1]

[1] كانت قبيلة جرهم تتولى أمر مكة في الجاهلية ولكنهم بغوا واستحلوا حلالاً من الحرمة وظلموا من دخلها من غير أهلها ، فقامت قبيلة خزاعة بإجلائهم عن مكة وأخرجوهم إلي اليمن بعد حروب طاحنة وتولت خزاعة الأمر بعد خروج جرهم .فحزنت جرهم حزناً شديداً علي مفارقتها لمكة فأنشد عمرو بن الحارث الجرهمي الأبيات :-

لقد قدمت الأندلس في واقع الأمر إسهامات علمية جليلة ومقدرة للأمة الإسلامية وللعالم الغربي على حد سواء، ولو قدر للوجود الإسلامي البقاء في الجزيرة الأندلسية لتغير وجه الحياة فيها تماماً ، ولكن حالة التفكك والإنهيار والضعف الذي أصاب المسلمين فيها، والحقد الصليبي الأعمى الذي تمثل في حركة الاسترداد النصرانية، وترك أهل المشرق لإخوانهم الأندلسيين يواجهون مصيرهم وحدهم، كل ذلك عجل برحيل المسلمين من تلك الديار.

إننا لا نزال ننهل حتى اليوم من ذلك المعين الذي خلفه لنا أهل الأندلس على الرغم من ضياع الكثير من المخطوطات والكتب النفيسة التي أحرقتها محاكم التفتيش الأسبانية. فالشاطبي نسبة الى مدينة شاطبة الأندلسية صاحب كتاب الموافقات في أصول الشريعة لا يزال ينهل من علمه كثير من الدارسين في الفقه وأصوله، القرطبي نسبة الى قرطبة في التفسير، وأبو عمرو الداني نسبة الى دانية، في القراءات، وابن عبد البر النمري القرطبي المحدث صاحب الرحلة في طلب الحديث، وابن مالك الاندلسي صاحب الألفية في النحو، عمدة الدراسات النحوية، وابن حزم الأندلسي صاحب المحلي في الفقه الظاهري، وطوق الحمامة في الألفة والإيلاف، وابن العربي صاحب العواصم من القواصم و ابن رشد القرطبي الفيلسوف والطبيب، وابن الطفيل الفيلسوف مؤلف حي بن يقظان ، ومن الشعراء ابن زيلون و ابن خفاجة وولادة بنت المستكفي ونزهون القلاعية والمعتمد بن عباد وغيرهم. تقال الله تعالى الأيام نداولها بين الناس }(آل عمران:140)

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي والجدود العواثر
ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا فليس لحي غيرنا ثم فاخر
فأخرجنا منها المليك بقدرة كذلك بين الناس تجري المقادر
وصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة كذلك عضتنا السنون الغوابر

انظر: محمد بن احمد بن علي الفاسي المكي (ت 832هـ)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (بدون تاريخ طبع) 369 ، 370 .

رعاية الأمراء الأمويين للعلم والعلماء:

اهتمت الدولة الأموية في الأندلس بالعلم والعلماء وطلابه، وشجعت على طلب العلم لطلاقاً من حث القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عليه. قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}(المجادلة:11) وقال جل شأنه: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}(الزمر:9) وقال عز وجل: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}(فاطر:28). وقال رسولنا الكريم ρ: (طلب العلم فريضه على كل مسلم ومسلمة)[1].

وقد رعى أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس العلم والعلماء رعاية كاملة، و توجد شواهد كثيرة تدل على هذا الأمر، فقد ضمت الأندلس منذ وقت مبكر عدداً من العلماء الذين رحلوا الى الأندلس واستقروا فيها أو ولدوا ونشأوا فيها. وقد وجد هؤلاء العلماء كل رعاية و اهتمام من قبل الحكام الأمويين، وكان لهم دور مشهود في ازدهار العلم وتقدمه. ومن هؤلاء العلماء الفقيه أبو موسى الهواري عالم الأندلس الذي رحل من المشرق و استقر بالأندلس في عصر الأمير عبد الرحمن بن معاوية (138. 172هـ)،وكان قد جمع علم العرب الى علم الدين وكان أبو موسى الهوار ي اذا دخل قرطبة من قريته (مورور) التي كان فيها سكناه لم يفت أحد من مشايخ قرطبة حتى يرحل إليه[2].

وكان الأمير هشام بن عبد الرحمن ثاني الأمراء الأمويين (180.172 هـ) من الأمراء الذين لقي العلماء والفقهاء في ظلإمارته عناية كبيرة ودعماً وتشجيعاً . وكان

[1] ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني (ت 275هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، مجلد (1) حديث رقم (224).

[2] ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت367هـ/977م) تاريخ فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية – القاهرة الطبعة الأولى 1402هـ/1982م، ص56 – الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ/989م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة 1973م، ص 253 – 254.

يقرب إليه العلماء والفقهاء ودخل المذهب المالكي إلي الأندلس في عهده و انتشر لتشاراً واسعاً [1].

كما اتخذت السياسة الأموية في عهده إجراء تشهد ببعد نظره إذ جعلت العربية لغة التدريس في معاهد النصارى واليهود. وكان لذلك الإجراء على الرغم من بساطته أثر عميق في التقريب بين أصحاب المذاهب المختلفة، وفي بث روح التفاهم والوئام بينها، ولا سيما بين المسلمين والنصارى، وكان من أثره أيضاً أن كثر اعتناق النصارى للإسلام بعد أن وقفوا على أصوله وتفاصيله،وقربت مسافة الخلاف بينهم وبين المسلمين[2].

أما الأمير الحكم بن هشام (180 – 206 هـ)فقد كان يؤثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن، وحضر يوماً عنده وقد غضب فيه على خادم له لإيصاله اليه كتاباً كره وصوله، فأمر بقطع يده فقال له زياد:أصلح الله الأمير، فإن مالك بن أنس حدثني في خبر رفعه أن (من كظم غيظاً يقدر على إنفاذه ملأه الله تعالى أمناً وإيماناً يوم القيامة) فأمر أن يمسك عن الخادم ويعفي عنه، فسكن غضبه، وقال: آلله أن مالكاً حدثك بهذا؟ فقال زياد: آلله أن مالكاً حدثني بهذا[3].

وقد عني الحكم بتربية ابنه عبد الرحمن (206 –238 هـ) عناية كبيرة وتنشئته تنشئة علمية، ويحدثنا ابن سعيد عن ذلك فيقول: (عني أبوه بتعليمه وتخريجه في العلوم الحديثة والقديمة ووجه عباس بن ناصح إلى العراق فأتاه بالسند هند ** وغيره، وهو أول من أدخلها الأندلس، وعرف أهلها بها ونظر هو فيها .. وكان من أهل

---

[1] عياض: أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت – 1387هـ/ 1967م، 55/1.

[2] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة 1389هـ/1969، ص 329.

[3] المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1632م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت 1388هـ/1968م، 340/1.

* هو عباس بن ناصح الثقفي الشاعر من أهل الجزيرة، يكنىأبا العلاء رحل أبوه صغيراً فنشأ بمصر،وتردد بالحجاز طالباً للغة العرب، إستقضاه الحكم بن هشام على شذونه والجزيرة. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ترجمة رقم (789).

** من أقدم الكتب التي ترجمت إلى العربية من الهندية، وقد تعلم العرب منه الحساب والأعداد الهندية المعروفة. ابن سعيد المغربي 45/1هامش (3).

التلاوة للقرآن والاستظهار للحديث .. يداخل كل ذي علم في فنه)[1]. وقد (التزم إكرام أهل العلمو أهل الأدب وأهل الشعر في دولته، وإسعافهم في مطالبهم كلها)[2].

أما الأمير محمد بن عبد الرحمن (273238 هـ) فقد (كان مكرماً لأعلام الناس، مقدماً على طبقاتهم ذوي الفقه والعلم منهم، يرفع مجالسهم، ويزلف وسائلهم، ويسعف رعايتهم، ويستشعر مع ذلك الحذر مع تحاسدهم،والتوقف على السماع من بعضهم في بعض)[3]. وقد سعى إليالفقهاء بالعالمِينَ ْ بقي بن مخلد (ت 276 هـ) ومحمد بن السلام الخشني (ت286هـ) ورميا بالخروج عن السنة، والركوب للبدعة وتمالأ عليهما الفقهاء بقرطبة ومن قلدهم من أهل العدالة وأستعدوا عليهما السلطان فلحقهما ضر أحل بهما الفاقة،ولكن الأمير محمد تثبت في أمرهما وامتحنهما الى أن ثبتت براءتهما[4].

وكان للأمير عبد الله بن محمد (300275 هـ) مجلس علمي من أعمر مجالس العلماء بالفضائل وأنزهها من الرذائل، وأجمعها لطبقات أهل الأدب والعلم[5].

ولما وفد أبو علي القالي صاحب الأمالي والنوادر علي الخليفة عبد الرحمن الناصر (350300هـ) من المشرق، وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة والشعر ونحو البصريين، أمر الناصر ابنه الحكم أن يتلقى أبا علي أعظم تلق، وأن ينتخب عدداً من وجوه أهل الكور ليكونوا ضمن مستقبليه، ففعل الحكم ذلك تكرمة له[6]. ويقال

---

[1] ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيدى(ت 685هـ/1286م)، المغرب في حلي المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر 1964م ، 45/1.

[2] المصدر نفسه ، 45/1.

[3] ابن حيَّان:أبو مروان حيَّان بن خلف حسين القرطبي (ت 496هـ/1076م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي . بيروت 1393هـ/1973م، ص245.

[4] المصدر نفسه، ص 247.

[5] ابن حيَّان، المقتبس، نشره ملشور م. أنطونية، باريس 1937، ص 34.

[6] المقري، المصدر السابق، 72/70/1.

أن الناصر هو الذي استدعاه من بغداد[1]. وفي عهد الخليفة الحكم المنتصر (366350هـ) وجد أن الرعاية للعلم والعلماء قد بلغت مدى ً بكيراً ، وكان الخليفة نفسه عالماً من العلماء، ولذلك وجه عنايته البالغة لفئة العلماء والفقهاء وهيأ التعليم المجاني للمحتاجين. يقول ابن عذارى: (من مستحسنات أفعاله وطيبات أعماله اتخاذه المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حول المسجد الجامع وبكل ربض من أرباض قرطبة، وأجرى عليهم المرتبات وعهد إليهم في الاجتهاد والنصح إبتغاء وجه الله العظيم، وعدد هذهالمكاتب سبعة وعشرون مكتباً ، منها حول المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كل ربض من أرباض المدينة[2] كما أنه حبس حوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين كان قد اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين بقرطبة، وأشهد القاضي محمد بن إسحاق في هذا التحبيس فعظمت به المنفعة، وجلت المنقبة، وورث الله به القرآن أمة لم يكن آباءهم يعرضونهم لوراثته[3] يقول المقري: إن الخليفة الحكم المستنصر (أقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة جلبت إليها بضاعة من كل قطر.وقد وفد على أبيه أبو علي القالي صاحب كتاب الأمالي) من بغداد فأكرم مثواه، وحسنت منزلته عنده، وأورث أهل الأندلس علمه، واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه، وكان يبعث لى الأقطار رجالاً من التجار، ويرسل إليهم الأموال لشراء الكُتب حتى جلب منها الى الأندلس ما لم يعهدوه .. وجمع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد)[4].ويقال إن

[1] المصدر نفسه، 75/1.
[2] ابن عذارى، البيان المغرب، 240/2.
[3] ابن حيَّان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص 207.
[4] نفح الطيب، 386/1.

عدد الفهارس بمكتبته في القصر كلت أربعاً وأربعين فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة[1].

وقد دفع هذا الاهتمام الكبير بالعلم والعلماء والكتب والمكتبات، الخليفة الحكم إلى إنشاء إدارة خاصة للعناية بهذه الكتب عرفت بخطة المقابلة التي كانت تختص بمقابلة نسخ الكتب المتعددة بعضها ببعض ومراجعتها وتصحيح أخطائها. ويتضح لنا ذلك من قائمة الرجال الذين تولوا هذا العمل. فقد ذكر القاضي عياض: أن أحمد بن محمد بن يوسف المعافري الذي كان من أهل العلم والفقه والحديث والعربية استخدمه الخليفة الحكم المستنصر في خطة المقابلة[2].

ويقول أحمد المعافري عندما تولى هذا العمل: (انصرفت من الحج فصيرني الحكم لمقابلة كتبه، وأجرىلي على ذلك رزقاً ، فأتاني ابن السليم وهو يومئذ معتزل عن السلطان، على غاية من التقشف يقعد عندي وأقبل يعزلني ويقول: يا أبا القاسم بعد طلب العلم وتقييد الحديث والرحلة فيه ركنت إلى هؤلاء القوم و استهوتك دنياهم. فقلت: وما الذي وليت لهم؟ إنما هي كتب علم لمثلها كان سعيي أصححها لهم بأجره فقال لي لا تقل هذا فقد أعلقتك حبالهم)[3].

ومن العلماء الذين استخدمهم الخليفة الحكم في خطة المقابلة، محمد بن أبي الحسين الذي كان عالماً باللغه والأدب، وقد أمره الخليفه الحكم بمقابلة كتاب العين للخليل بن أحمد مع أبي علي القالي و ابنه سيد في دار الملك التي بقرطبة فقاموا بهذا العمل خير قيام[4]. ونتيجة لهذه الرعاية الكريمة من قبل الحكام الأمويين في الأندلس

---

[1] ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، 186/1.
[2] ترتيب المدارك، 566/4.
[3] المصدر نفسه، 566/4.
[4] الحميدي: أبوعبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي (ت 488هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة 1966م، ترجمة رقم (39) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، 1967م، ترجمة رقم (94).

للعلم والعلماء، فقد ازدهرت العلوم بأنواعها المختلفة، ووجد العلماء تربة خصبة أنتجوا فيها نِتاجاً غزيراً، وكثرت في تلك الآونة الرحلة في طلب العلم إلى المشرق[1] وأفاد الأندلسيون أيما إفادة من هذه الرحلات التي انعكست على حلقاتهم العلمية ومؤلفاتهم. كما وفد أيضاً عدد من العلماء المشارقة إلى الأندلس ولما وجدوا البيئة العلمية مهيأة استقروا في البلاد وأصبحوا من جملة علمائها.

النشاط العلمي في الأندلس:

كان من أهم العلوم التي ازدهرت خلال هذه الفترة: علوم القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، واللغه، والنحو والأدب، والتاريخ والجغرافيا، والطب، والصيدلة، والرياضيات، والفلك، والهندسة. وسوف نتناول هذه العلوم بشئ من الإيجاز خلال هذه الفترة.وقد نشط الأندلسيون في تلقي هذه العلوم وتعلمها وتعليمها وتفوقوا في بعض الأحيان على أقرانهم المشارقة.

ففي مجال القراءات: نجد أن هذا العلم من العلوم التي تفوق فيها الأندلسيون تفوقاً كبيراً بذوا بها غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى[2].وكان الغازي بن قيس الذي كان مؤدباً بقرطبة أيام دخول عبد الرحمن بن معاوية، قد رحل إلى المشرق وأدرك نافع بن نعيم وقرأ عليه، وهو أول من أدخل قراءته إلى الأندلس[3].وكذلك كان ابنه عبد الله بن الغازي يعلم القرآن على رواية نافع بن نعيم[4]. ومن القراء المؤدبين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الذي كانت له رحلة، وقرأ القرآن على عثمان بن سعيد المعروف بورش صاحب نافع وقد استأدبه الأمير الحكم بن هشام (180-206هـ) لبنيه[5].

---

[1] انظر المقري/ نفح الطيب، 5/2 وما بعدها.

[2] لطفي عبد البديع، الإسلام في أسبانيا، مكتبة النَّهضة المصريَّة، القاهرة، الطبعة الأولى1958، ص 45.

[3] الزبيدي، طبقات النَّحويين، ص 209، ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت 403هـ) تاريخ علماء الأندلس، ترجمة (632).

[4] الزبيدي، طبقات النَّحويين، ص 259، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ترجمة (632).

[5] الزبيدي، طبقات النَّحويين، ص 270.

ومن القراء الذين برزوا في هذا المجال: المقرئ أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الطلمنكي (340429هـ) وكانت له رحلة إلى المشرق وانصرف إلى الأندلس بعلمٍ كثير، وكان أحد الأئمة في علم القرآن العظيم، قراءته وإعرابه، وناسخه ومنسوخه، ومعانيه[1]. وقد صنف عدداً من المؤلفات في هذا الشأن منها: (الدليل إلى معرفة الجليل) (وتفسير القرآن)، (والوصول في معرفة الأصول)، (والبيان في إعراب القرآن)[2].

وكان أبو موسى الهواري من أوائل العلماء الأندلسيين الذين ألفوا في علم القراءات وله كتاب في ذلك[3].

ومن علماء القراءات أيضاً خلال هذه الفترة: أبو محمد مكي بن إبي طالب القرطبي (355هـ/ 965م)، وأصله من القيروان، سكن قرطبه، كان من أهل التبحر في علوم القرآن محسناً لذلك مجوداً للقراءات السبع عالماً بمعانيها[4]. وكان مكي قد وفد إلى الأندلس عام (393 هـ/1002م) حيث رحب به الحاجب عبد الملك بن المنصور وعينه لتدريس القرآن وعلومه بجامع الزهراء. وقد تبوأ منزلة كريمة بين علماء قرطبة أنذاك وأخذ في نشر علومه وتدريس طلبة العلم في جامع قرطبة. فاشتهرت مجالسه العلمية وعظم شأنه[5]. ومن مصنفاته (كتاب الهداية إلى بلوغ النهاية) و(كتاب تفسير إعراب القرآن) وكتاب (التبصرة في القراءات السبع)[6].

---

[1] ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1182)، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، الدار المصريَّة للتأليف والترجمة، 1966م، ترجمة رقم (92).

[2] ابن فرحون، أبو إسحق إبراهيم بن علي (ت799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1972م، ص 39.

[3] الزبيدي، طبقات المحويين، ص 254.

[4] ابن بشكوال، الصلة، ترجمة رقم (1276).

[5] سعد عبد الله البشري، الحياة العلميَّة في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، 422 . 488هـ، منشورات مركز الملك فيصل، الرياض، 1414هـ/1993م، ص 268.

[6] عياض، ترتيب المدارك، (4/737-738).

ومن مشاهير العلماء الأندلسيين وأئمتهم في هذا المجال الذين أطبقت شهرتهم الآفاق، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (444370هـ) وقد بلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفها و انتهت إلى روايته أسانيدها، وتعدد تآليفه فيها وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها و اعتمدوا من بينها كتابه التيسير[1]. ومن مصنفاته: (جامع البيان في القراءات السبع) . (والتحديد في معرفة التجويد) و(التلخيص لقراءة نافع بن عبد الرحمن)، والأرجوزة المنبهة على القراء والرواة وأصول القراءات وغيرها[2].

وأما التفسير: فقد كان أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد (ت276هـ) من أوائل علماء التفسير بالأندلس، وقد صنف كتاباً في تفسير القرآن قال عنه ابن حزم: (فمن مصنفات أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد كتابه في تفسير القرآن فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثنى فيه أنه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره)[3]. ويبدو أن هذا المصنف كان في غاية من الجودة والإتقان مما جعل ابن حزم يؤكد تأكيداً جازماً أنه لم يؤلف مثله، إلا أن ابن حزم كان منحازاً لكل ما هو أندلسي يفيض عليه بالثناء والمديح ويحاول بشتى السبل أن يبرز تفوق الأندلسيين على أهل المشرق.

ومن علماء التفسير خلال هذه الفترة، الشيخ أبي موسى الهواري وله كتاب في تفسير القرآن[4].

---

[1] آنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، الطبعة الأولى 1955م، ص405-406.

[2] سعد البشرى، مرجع سابق ، ص268.

[3] الضبي، بغية المتلمس، ترجمة رقم (584)، المقري، نفح الطيب، 168/3.

[4] الزبيدي، طبقات النحويين، ص254.

وكان القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الناصر لدين الله، عالماً بالقرآن الكريم وتفسيره له فيه كتب مفيده منها (كتاب الأحكام). وكتاب (الناسخ والمنسوخ)[1].

ومن علماء التفسير أيضاً محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت399هـ) وله مختصر في التفسير[2].

أما علم الحديث فقد نشط فيه الأندلسيون أيما نشاط وبرز عدد من علمائهم في هذا المجال ولهم تصانيف كثيرة تدل على تعمقهم في دراسته والعناية به. وقد أكثر العلماء الأندلسيون من وضع معاجم أعلام المحدثين ومن أشهر من عني بذلك معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، صاحب كتاب الأئمة من المصنفين) وهو من أهل القرن الثالث الهجري، ووهب بن مسرة من أهل وادي الحجارة، وأحمد بن حزم المنتجيلي (ت351هـ/961م) والذي ألف معجماً بأعلام الحديث، والقاضي محمد بن يحي بن مفرج وغيرهم كثر[3].

ويعتبر بقي بن مخلد من أشهر المحدثين في الأندلس فقد رحل إلى المشرق فروى عن الأئمة وأعلام السنة منهم: الإمام أحمد بن حنبل، وأبوبكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه، وجماعات أعلام يزيدون على المائتين، وله في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة رضي الله عنهم فروى فيه عن ثلاثمائة ألف صاحب ونيف[4].ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام فهو مصنف ومسند[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص295.
[2] ابن بشكوال، الصلة، ترجمة رقم (1047).
[3] آنخل جنثالث بالثيا، مرجع سابق، ص401.
[4] الضبي، بغية الملتمس، ترجمة رقم (584)، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ترجمة رقم (584).
[5] المقري، نفح، 168/3.

ومن مشاهير علماء الحديث خلال هذه الفترة، محمد بن وضاح الذي رحل رحلتين إلى المشرق، وبلغ عدة الرجال الذين سمع منهم في الأمصار مائة وخمس وسبعون. وبمحمد بن وضاح وبقي بن مخلد، صارت الأندلس دار حديث. وكان محمد بن ضاح عالماً بالحديث بصيراً بطرقه متكلماً على علله[1].

ومن علماء الحديث أيضاً ، محمد بن عبد السلام بن ثعلبه الخشني، كانت له رحلة إلى العراق ولى غيرها من البلاد وأقام خمساً وعشرين سنة متجولاً في طلب الحديث، ثم رجع الى الأندلس وحدّث وانتشر علمه[2].

ولم يكن استقرار هذه المصنفات التي ألفت في علوم الحديث من قبل الخشني، وبقي بن مخلد بالأمر الميسور، فقد واجها صعوبات جمة في نشر علمهما، ووقوف بعض العلماء عقبة أمامهما لاختلاف في وجهات النظر، وكان لوقوف الأمير محمد إلى جانبهما أثر كبير في ازدهار علم الحديث بالأندلس. فقد قال الأمير محمد لبقي بعد محاربة الفقهاء له (انشر علمك وأرو ما عندك من الحديث، و اجلس للناس حتى ينتفعوا بك) ونهاهم أن يتعرضوا له[3].

وكان من علماء الحديث الأندلسيين الذين كانت لهم رحلة إلى المشرق قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف، وقد سمع بقرطبة من بقي بن مخلد، وأبي عبد الله الخشني، ومحمد بن وضاح ثم رحل إلى المشرق وسمع من عدد كبير من المشارقة وعاد إلى الأندلس بعلم كثير، وسمع منه الأمير عبد الرحمن بن محمد قبل توليه، كما سمع منه ولي العهد الحكم، وكان قاسمبن أصبغ بصيراً بالحديث والرجال نبيلاً في النحو[4]

[1] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ترجمة رقم (1134).
[2] الضبي ، بغية الملتمس ، رقم (202) .
[3] الضبي ، بغية الملتمس ، ص(15) .
[4] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ترجمة رقم (1068).

وله تآليف حسان جداً منها أحكام القرآن، والمجتبي في الحديث، وكتاب فضائل قريش وكنانة، والناسخ والمنسوخ، وغرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ[1].

ومن علماء الحديث، محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري، وقد رحل إلى المشرق في العام الذي توفى فيه مالك بن أنس، وكان الغالب عليه رواية الحديث والآثار وكانت وفاته سنة 221هـ[2]ومنهم أيضاً: محمد بن إبراهيم بن حيون، من أهل وادي الحجارة، سمع من أبي عبد الله الخشني، وابن وضاح، وعبد الله بن مره، ومحمد بن عبد الله بن الغازي وجماعة من نظرائهم بالأندلس، ورحل إلى المشرق فترددهناك خمس عشرة سنة وكان إماماً في الحديث عالماً به حافظاً لعلله بصيراً بطرقه. توفى سنة 305 هـ[3].

ومن هؤلاء المحدثين، محمد بن عبد الله بن سعيد البلوي من أهل قرطبة وكان كثير الكتابة للحديث حافظاً لأخبار الشيوخ، وكان عوام الناس والمحتسبة يجتمعون إليه ويسمعون منه. توفى سنة 370هـ[4].

ومن علماء الحديثأيضاً ثابت بن عبد العزيز السرقسطي وابنه قاسم، وقد رحلا إلى المشرق ولقيا رجال الحديث ورجال اللغةوجمعا هنالك علماً كثيراً ، وألف قاسم كتاباً في شرح الحديث سماه كتاب (الدلائل) وبلغ فيه الغايتين من الإتقان والتجويد حتى حسد عليه، وذكر الطاعنون أنه من تأليف غيره من أهل المشرق، فمات قبل إكماله فأكمله أبوه ثابت بن عبد العزيز[5].

ومن مشاهير علماء الحديث خلال هذه الفترة أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (463368هـ/1070978م)، وكان إمام عصره وواحد دهره.

---

[1] المقري، نفح الطيب، 169/3.
[2] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ترجمة رقم (1100).
[3] المصدر نفسه، رقم (1164).
[4] المصدر نفسه، رقم (1325).
[5] الزبيدي، طبقات النحويين، ص284-285.

جلا عن وطنه ومنشئه قرطبة، فكان في الغرب مدة ثم تحول إلى شرق الأندلس وسكن دانيه وبلنسيه وشاطبة وله مؤلفات جليلة منها: (الاستيعاب في أسماء الأصحاب) و(التمهيد) لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) (وكتاب الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار لما تضمنه موطأ مالك من معاني الرأي والآثار) وغير ذلك من مصنفات حديثية[1].

وقد أولى العلماء الأندلسيون والمغاربة موطأ الإمام (ت 179هـ)جل عنايتهم وقدموه على صحيحي البخاري ومسلم وذلك لأنه كتاب إمامهم وعمدة مذهبهم كما أنه أول كتب الحديث دخولاً إلى بلاد المغرب والأندلس[2]. ويأتي في المرتبة الثانية بعد الموطأ من اهتمامات الأندلسيين بمصنفات الحديث صحيح الإمام مسلم ثم صحيح البخاري[3]، يقول ابن خلدون وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري[4] وربما يرجع ذلك لسهولة تناوله وخاصة على الطالب المبتدئ[5].

وأما الفقه فقد كانت بلاد الأنلس مجالاً خصباً لبحوث علمائه. وقد كانت الأندلس في مبدأ الأمر على مذهب الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام ثم أخذت بمذهب الإمام مالك بن أنس بدءاً من عصر الأمير هشام بن عبد الرحمن (180.172هـ)[6]، وقد نبغ كثير من تلاميذ الإمام مالك أو تلاميذ تلاميذه في الفقه

---

[1] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص396-397.

[2] يوسف علي بن إبراهيم العريني، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، منشورات مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض 1416هـ/1995م، ص232.

[3] المرجع نفسه، ص233.

[4] ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت808هـ)، المقدمة، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط 4 1398هـ/ 1978م، ص443.

[5] يوسف العريني، المرجع السابق، ص233-234.

[6] عياض، ترتيب المدارك، 55/1.

المالكي وكان لهم شأن كبير في الأندلس، وقد صبغوا البيئة العلمية الأندلسية بالصبغة المالكية، وأصبح المذهب المالكي سمة بارزة يميز أهل الأندلس عن المشرق.

وأول هؤلاء الفقهاء المالكية الذين كان لهم دور بارز في تأصيل الفقه المالكي في الأندلس، الفقيه عيسى بن دينار (وكان لا يعد في الأندلس أفقه منه في نظرائه)[1] وكان محمد بن وضاح يقول: (هو الذي علم أهل الأندلس الفقه)[2] وله كتاب (الهداية) وهي أرفع كتب جمعت في معناها على مذهب مالك و ابن القاسم، وأجمعها في المعاني الفقهية على المذهب فمنها كتاب الصلاة وكتاب البيو ع وكتاب الجدار في الأقضية وكتاب النكاح والطلاق[3]. وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول: (فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب، وعاقلها يحي بن يحي)[4].

ومن فقهاء المالكية الأندلسيين الفقيه عبد الملك بن حبيب، وكان حافظاً للفقه على مذهب المدنيين، نيلاً فيه، وله مؤلفات في الفقه والتاريخ والآداب كثيرة منها: (الواضحة) لم يؤلف مثلها، و(الجوامع) و كتاب فضل الصحابة رضي الله عنهم، وكتاب غريب الحديث، وكتاب تفسير الموطأ..)[5].

ومن علماء الفقه المالكي بالأندلس، محمد بن أحمد بن عبد العزيز ابن أبي عتبة (وكان لحظاً للمسائل، جامعاً لها، عالماً بالنوازل، وهو الذي جمع المستخرجة وأكثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة، وكان يأتي بالمسألة الغريبة فإذا سمعها قال أدخلوها في المستخرجة)[6].

---

[1] ابن حيان، المقتبس، طبعة بيروت، ص78.
[2] المصدر نفسه، ص99.
[3] المقري، نفح الطيب، 169/3.
[4] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، رقم (973).
[5] المصدر نفسه، رقم (814).
[6] المصدر نفسه، ترجمة رقم (1112).

ومن أعلام الفقه المالكي الأندلسي يحي بن إبراهيم بن مزين القرطبي (ت259هـ/872م) وهو من أهل قرطبة وأصله من طليطله. روى عن عيسى بن دينار، ومحمد بن عيسى الأعشى، ويحي بن يحي، وغازي بن قيس ونظرائهم، ورحل إلى المشرق في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم فلقي بالمدينة مطرف بن عبد الله صاحب مالك بن أنس، روى عنه الموطأ ورواه أيضاً عن حبيب كاتب مالك، ودخل العراق فسمع من القعنبي عبد الله بن مسلمة، ومن أحمد بن عبد الله بن يونس، وسمع بمصر من أصبغ بن الفرج وغيره. وكان حافظاً للموطأ فقيهاً فيه. وألف كتباً حساناً منها: (كتاب تفسير الموطأ) وكتاب تسمية الرجال المذكورين في الموطأ وكتاب استقصى فيه علل الموطأ سماه (كتاب المستقصية) وكتاب في (فضائل العلم) وكتاب في (فضائل القرآن)[1].

ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم من أهل قرطبة يكنى أبا محمد، (كان نبيلاً في الحديث ضابطاً لماروى بصيراً بالأعراب حسن الكتاب) وقد صنف كتابالطبقات فيمن روى عن مالك وأتباعهم من أهل الأمصار (ت351هـ/962م)[2].

هؤلاء بعض علماء المالكية الذين أسهموا بجهد مقدر في الدراسات الفقهية بالأندلس. وقد أورد ابن الفرضي في كتابه (تاريخ علماء الأندلس)وابن بشكوال في كتابه (الصلة)، والحميدي في (جذوة المقتبس) والقاضي عياض في (ترتيب المدارك) والمقري في (نفح الطيب) تراجم لآلاف فقهاء المالكية بالأندلس ممن لا يتسع المجال لذكرهم.

[1] المصدر نفسه ، ترجمة رقم (1556) .
[2] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص420.

وقد عرف مالكية الأندلس بالتعصب المذهبي ولم يتيحوا فرصة كبيرة لأصحاب المذاهب الأخرى لنشر آرائهم فعمدوا إلى محاربتهم في كثير من الأحيان كما هو الحال مع بقي بن مخلد و الخشني وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

وعلى الرغم من ذلك فإن كتب التراجم تشير إلى بعض فقهاء الشافعية الأندلسيين مثل خلف بن عبد الله بن مخارق الخولاني من أهل الجزيرة الخضراء، وكان مفتياً في بلده وفقهياً مشاوراً تدور الفتيا عليه مع أصحابه[1] ويوسف بن محمد بن سليمان الهمداني من أهل شذونه (ت383هـ) وقد رحل لى المشرق وكتب بخطه كتب الشافعي[2] ومحمد بن أحمد بن إبي بردة الشافعي وكان من أعلم الأندلسيين بمذهب الشافعي، وأحسنهم قياماً به، ولم يصل إلى الأندلس أفهم منه بالمذهب، وقد تفقه للشافعي على يد ابي اسحاق المروزي، وابي سعيد الأصطخري، وكان رئيس الشافعية في وقتها. وصل إلى الأندلس سنة 361هـ فأكرمه الخليفه المستنصر[3].

ومن فقهاء الشافعية كذلك عبد السلام بن السمح بن نابل الهواري، يكنى أبا سليمان، (أصله من مورور، رحل إلى المشرق وتردد هناك مدة طويلة وسكن اليمن وتفقه بمصر بالشافعي وقرأ القرآن وجوده. وقدم الأندلس وكان حسن الخط بديعه، وكان حافظاً لمذهب الشافعي حسن القيام به[4].

أما علوم اللغة والنحو: فقد نبغ فيها عدد من الأندلسيين، يقول بالنثيا: (كان الناس أول الأمر يدرسون اللغه في الأندلس عن طريق قراءة النصوص الأدبية والكتب، دون استعمال كتب خاصة في النحو، ثم عرفوا بعد ذلك كتبه و أول ما ذاع

[1] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ترجمة رقم (410).
[2] المصدر نفسه، ترجمة رقم (1633).
[3] المصدر نفسه، رقم (1401).
[4] المصدر نفسه، رقم 855.

بينهم منها كتب الكسائي (ت188هـ/804م) وسيبويه، ثم ظهر بينهم من ألف في هذا الباب كتباً [1].

وكان جودي النحوي أول من ألف في النحو، وهو جودى بن عثمان، من أهل مورور رحل إلي المشرق، فلقي الكسائي والفراء وغيرهما، وهو أول من أدخل كتب الكسائي وسكن قرطبة بعد قدومه من المشرق (ت198هـ)[2].

وكان الشمر بن نمير من أهل العلم بالعربية واللغة، وعاش في عصر عبد الرحمن ابن الحكم، ورحل من قرطبة بعد التأديب بها إلي المشرق[3].

ومن علماء اللغة الأندلسيين خصيب الكلبي وكان ساكناً (بمورور) وكانت المشيخة من أهل مورور يذكرون أن الفرانق (البريد) كان يأتي من قرطبة من الأمير محمد إلي خصيب، يستفتي في الكلمة من اللغة، والمسألة من العربية وكان له كتاب مصنف في اللغة[4].

ومنهم محمد بن محمد بن أرقم، كان من أهل العلم بالعربية واللغة والكلام في معاني الشعر، وكان مؤدباً للأمير عبد الرحمن بن محمد، ولما أمر الناصر بانتساخ شعر أبي تمام الطائي، أحضره لذلك مع جماعة من الأدباء[5].

ومأا محمد بن الحسن الزبيدي فقد كان علماً وإماماً من الأئمة في اللغة العربية والنحو ألف في النحو كتاباً سماه (الواضح)، و اختصر كتاب العينخلتصاراً حسناً ، وجمع في الأبنية وفي لحن العامة وفي أخبار النحويين كتباً مشهورة، وفي غير نوع من الأدب، وكان شاعراً كثير الشعر[6].

---

[1] تاريخ الفكر الأندلسي، ص185.
[2] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص256- 257.
[3] المصدر نفسه، ص257- 258.
[4] المصدر نفسه، ص259.
[5] المصدر نفس ، 282- 283.
[6] الضبي، بغية الملتمس، رقم (80).

ومن هؤلاء العلماء كذلك عثمان بن المثني القيسى تلميذ ابن الأعرابي، لقي أبا تمام وأخذ عنه ديوانه وأقرأه بقرطبة[1].

ولما وفد أبو علي القالي اللغوي الكبير علي الأندلس سنة 330هـ في عهد عبد الرحمن الناصر. وقد أشرنا إلي ذلك من قبل. كان نزوله فيها فاتحة عهد لغوي عظيم، وقداستقبله الناصر استقبالاً كريماً، ووالى مع ابنه الحكم الإغداق عليه. نشط في التأليف والتدريس بقرطبة وضاحيتها الزهراء حتى وفاته سنة 356هـ. وكان مما أملاه على الطلاب من مؤلفاته (كتاب الأمالي) (وذيل الأمالي والنوادر)، وأملي أيضاً من تأليفه المقصور والممدود والمهموز وكتاباً في الأمثال، وأهم من ذلك شروحه للمعلقات وروايته هناك للمفضليات والنقائض وشعر الهذليين وإدخاله دواوين النابغة الذبياني وعلقمة والأعشى والحطيئة وغيرهم[2].

وهناك عدد كبير من علماء النحو واللغة الأندلسيين الذين لم نذكرهم وقد أثروا الحياة العلمية الأندلسية بنتاج فكرهم، بل تعدى علمهم نطاق الأندلس ليخرج إلى المشرق. وقد صنف محمد بن الحسن الزبيدي الآنف الذكر مصنفاً في طبقات النحويين واللغويين، وأفرد لأهل الأندلس طبقة خاصة. كما احتوت مؤلفات ابن سعيد، وابن الفرضي، وابن بشكوال، والضبي على عدد كبير من تراجم اللغويين والنحويين من أهل الأندلس.

وأما الشعر بفنونه وأغراضه المختلفة من مدح وهجاء ورثاء وغزل وغيره، فقد أبدع فيه الأندلسيون إبداعاً منقطع النظير. وكان للطبيعة الأندلسية الساحرة حيث المروج الخضراء، والأنهار المتدفقة، والرياض والحدائق المنتشرة في كل مكان أثر في نتاج

[1] الزبيدي طبقات النحويين، ص288.
[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات – الأندلس)، دار المعارف، مصر 1989م، ص92-93.

الأندلسيين الشعري الغزير وخاصة شعر الغزل والطبيعة.وقد عبر ّ ابن خفاجة شاعر الطبيعة الأندلسي عن ذلك بقوله[1]:

يا أهل أندلسٍ لله دركُ ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم ُ ولو تخيرت هذا كنت أختار

وقد امتاز الشعر الأندلسي بجزالة الألفاظ، وجمال رنينها و إبداع الأخيلة وبعد مداها. وبدلاً من أن يجعلوا الألفاظ مراكب للأفكار،وبدلاً من أن يدعوا القلوب تعبر عن أحاسيسها في فيض طبيعي، نجدهم يغدقون علينا طوفاناً من الألفاظ الرنينة والأخيلة البراقة[2] وتدور أشعارهم حول أنواع مختلفة من المواضيع فنجدهم يتغنون بمباهج الحب الموصول، ويصفون آلام الهوى الخائب ويصورون بألطف الألوان هناء لقاء رقيق، ويبكون في لهجة مشبوبة آلام الفراق. وقد حرك مشاعرهم جمال الطبيعة الأندلسية، فمضوا يمتدحون غاباتها وأنهارها وحقولها الخصيبة. ودفعهم ذلك الجمال إلى تأمل ضياء الشمس البهيج وصفاء الليالي الساجية تنيرها النجوم. وكانوا إذا أشرقت نفوسهم بنور الإلهام تداعت إلى أذهانهم من جديد ذكريات المواطن الأولى التي أقبلوا منها، حيث كان أسلافهم يضربون الفيافي والقفار تحت شمس لافحة، فكانت تصدر عن نفوسهم . بين الحين والحين . نفثات فياضة بعصبية جنسية غريبة، كانت تنبعث من أفواههم كأنها أعاصير صحراء وكان لهم إلى جانب ذلك . شعر ديني زهدي عامر بالتقى العميق والشوق إلى الله[3].

ويأتي الأمراء الأمويون في مقدمة الشعراء حيث كانوا يقرضون الشعر ويتذوقونه، كما كانوا يكرمون الشعراء ويغدقون عليهم الأموال ويرعونهم رعاية خاصة.

---

[1] ابن خفاجة، أبو اسحاق ابراهيم بن أبي الفتح (ت 533هـ)، ديوان ابن خفاجة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1381هـ/1961م ، ص117.
[2] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص46-47.
[3] المرجع نفسه، ص47-48.

وكان الأمير عبد الرحمن الداخل 138-172هـ من الشعراء المطبوعين، فعندما رأى نخلة نبتت بين أشجار قصره المسمى بالرصافة بقرطبة هيجت شجونه وذكرته بالمشرق فقال:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى وطول التنائي عن بنيَّ وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي[1].

وقال الأمير الحكم بن عبد الرحمن المعروف بالربضي بعد إخماده لثورة الربض في قرطبة[2]:

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعاً ولم أر مثل السيف للأرض راقعا

فسائل بنو مروان هل بها اليوم ثغرة وأبعد مرسى تنضي السيف دارعا

ولما تساقينا سجال حروبنا سقيتهم سماً من الموت ناقعاً

ومن الشعراء الأمويين بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان من مستشاري الأمير عبد الرحمن الداخل، ومن شعره[3]:

حنانيك ما أقسى فؤادك تذهب الليالي ولا عطف ولا لديك ولا وصل

قوافٍ هن شرع النَّدى فكيف على أبنائهم يحسن البخل

ومن الشعراء الذين برزوا في هذا العصر (زرياب) الذي قدم إلى الأندلس من المشرق في عصر عبد الرحمن الأوسط ويحيى الغزال (ت250هـ/864م)، وسعيد بن جودي، وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد المتوفي سنة (328هـ/939م) الذي بهر

[1] ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ)، الحلة السّيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، الدار العربية للطباعة والنشر، 1963م، 37/1.
[2] ابن سعيد، المغرب، 44/1.
[3] المصدر نفسه، 60/1.

العيون بمدائحه، وابن هانئ الألبيري المتوفي سنة (362هـ/972م)، والزبيدي المتوفي عام (379هـ/989م)، وابن إدريس الجزيري (ت 394هـ/1003م)، والمصحفي (ت372هـ/982م)، وابن فرج الجياني (ت عام 366هـ/976م) وغيرهم[1].

وقد ذكرنا فيما سبق نماذج من شعر الأمراء الأمويين، وهذه نماذج أخرى لبعض الشعراء المذكورين آنفاً ومنهم ابن عبد ربه الذي يقول في قصيدة غزلية[2].

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقاً ورشاً بتعذيب القلوب رفيقاً
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله دراً يعود من الحياء عقيقا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة ما بال قلبك لايكون رقيقا

ويعلق شوقي ضيف على هذه الأبيات بقوله: (صور متناسقة تناسقاً بديعاً فاللؤلؤ الأبيض تتضرج الخدود منه بحمرة الحياء فيصبح عقيقاً أو ياقوتاً ، والبصر يغرق في محاسن الوجه وسناها أو ضوئها المتوهج جمالاً وفتنة، والخصر رقيق رقة شديدة واللغة فيها انسياب وصفاء وسلاسة)[3].

ولجعفر المصحفي وزير الحكم المستنصر قصيدة يقول فيها[4]:

كلمتني فقلت: در سقيط فتأملت عقدها هل تناثر
فازدهاها تبسم فأرتني عقد در من التبسم آخر

ولم يقتصر الشعر على الرجال فقط، بل كان الشعر يجري على ألسن النساء فبرع منهن نفر مثل عائشة بنت أحمد، ومريم بنت أبي يعقوب الفيصولي، وكانت

[1] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي ص61.
[2] نفح، 564/3.
[3] عصر الدول والإمارات – الأندلس ، ص258 .
[4] ابن الأبّار، الحلة السيراء، 257/1.

زاهدة ورعة واسعة العلم بالأدب، وحفصة وأم العلاء الحجارتين . نسبة إلى وادي الحجارة وغيرهن كثيرات[1].

وإلى جانب ذلك عرف الأندلسيون نمطاً آخر من الفنون الشعرية هي الموشحات والأزجال. والموشحات جمع موشحة، وهي مشتقة من الوشاح وهو عبارة عن خيطين من لؤلؤ وجوهر منظومين يُؤَالفُ بينهما معطوف أحدهما على الآخر، وقد اشتهرت الأندلس بأنها هي التي ابتكرت فن الموشحة. فالموشحة تتألف من قفل يسمى مركزاً وتتعدد أجزاؤه أو شطوره، ويليه غصن متعدد الأجزاء المقابلة في القفل الأول سواء في الوزن أو القافية تختلف أجزاء الأغصان التالية مع أجزاء الغصن الأول في قافيته[2].ومثالاً لهذه الموشحات موشحة عبادة بن ماء السماء[3].

ليلية الذوائب ووجهها نهارُ
مصقولةُ الترائب ورشفها عقار
أصداغها عقارب والخد جلنار

أما الأزجال فهي جمع زجل، وهو في اللغة التطريب، وقد سمي به الأندلسيون الفن الشعري العامي المقابل للموشحة، وقد نشأ هذا اللون الشعري للتغني به في الطرقات والأسواق والمحافل العامة[4].

أما في مجال الدراسات التاريخية والجغرافية فقد أخذ الأنلسيون بنصيب كبير في هذا الجانب واهتموا كثيراً بالتراجم وألفوا في ذلك مصنفات عديدة كما سنرى.

---

[1] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص73.
[2] شوقي ضيف، مرجع سابق، ص146.
[3] المرجع نفسه، ص150.
[4] المرجع نفسه، ص163.

ويعتبر عبد الملك بن حبيب الفقيه (ت 238هـ) من أوائل المؤرخين الأندلسيين وله مؤلفات ضاع معظمها ولم يبق منها إلا الكتاب المسمى بالتاريخ (مخطوط). ويتحدث في هذا الكتاب عن أول ما بدأ الله به خلقه من السماوات والبحار والجبال والجنة والنار وآدم وحواء، ثم يحكي قصة ما جرى بينهما وبين إبليس، ثم يقص سير الأنبياء حتى يصل إلى محمد ρ، ويتكلم عن الكتب المنزلة، ثم يذكر سير الخلفاء حتى فتح الأندلس، ثم يتحدث عما يوجد بها من الذهب والفضه واللآلئ والياقوت والزمرد وما الى ذلك من الخيرات وعيون الثروة وغير ذلك من الموضوعات ويختم الكتاب بالحديث عن قضاة الأندلس[1].

ومن العلماء الأخباريين الأندلسيين الذين كتبوا في تاريخ الأندلس، أحمد بن موسى الرازي (ت324هـ/936م) لقب نحوياً لغوياً وكاتباً بليغاً ، غزير الرواية حافظاً للأخبار، وله كتاب في أخبار أهل الأندلس، وتواريخ دول الملوك فيها[2].

ومن مؤرخي الأندلس أبوبكر بن القوطية (ت367هـ/977م) وكان عالماً بالنحو متقدماً فيها على أهل عصره لا يشق غباره ولا يلحق شأوه[3]. وكتابه (تاريخ افتتاح الأندلس) وهو محقق ومطبوع يتحدث فيه عن تاريخ الأندلس منذ الفتح إلى نهاية عصر الأمير عبد الله بن محمد.

ومنهم عريب بن سعد القرطبي، وكان من أصل نصراني وقد أسلم آباؤه واستعربوا، وتلقى تعليماً طيباً ، ودخل في خدمة الدولة واتخذه الحكم المستنصر كاتباً . وقد كتب مختصراً (تاريخ الطبري) اختصر فيه تاريخ الطبري فيما يتعلق بأخبار

[1] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص19، 195.
[2] الزبيدي، طبقات النحويين، ص302.
[3] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، رقم (1316).

المشرق وأضاف اليه أخبار المغرب والأندلس. وكان عريب إلى جانب اشتغاله بالتاريخ طبيباً [1].

أما أبو عامر بن شهيد (المتوفي سنة 392هـ/1002م) فكان تلميذاً لقاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة، وكان خطيباً وشاعراً وصديقاً للمنصور بن أبي عامر.وقد كتب تاريخاً كبيراً كان يقع في أكثر من مائة جزء جعله على طريقة الحوليات[2].

وكما ذكرنا من قبل فقد اهتم مؤرخو الأندلس كثيراً بكتب التراجم ومن هؤلاء المؤرخين ابن الفرضي صاحب كتاب (تاريخ علماء الأندلس) ومحمد بن حارث الخشني مصنف (تاريخ قضاة قرطبة) وعثمان بن ربيعة الأندلسي القرطبي صنف كتاباً في طبقات شعراء الأندلس) وصنف ابن جلجل كتاب (طبقات الأطباء) ومحمد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ /989م) صنف كتاباً في (طبقات النحويين) وقد اعتمد هذا البحث على جزء كبير من هذه المصنفات المذكورة (كتب التراجم) ورجعت إليها في كثير من المواضع فيما سبق وبعضها ستأتي الإشارة إليها لاحقاً .

أما الجغرافيا فمعلوماتنا قليلة جداً عن الجغرافيين الأندلسيين خلال هذه الفترة وقد أسهم أحمد بن محمد الرازي (274 - 344 هـ) في رقي الدراسات الجغرافية فصنف فيها كتاباً عن مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها والأجناد العربية الستة التي نزلها العرب بعد الفتح، وقد تناول الرازي الجغرافيا على أنها علم متمم للتاريخ[3].

[1] بالنثيا، ص206.
[2] المرجع نفسه، ص207.
[3] سعد البشرى، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص413.

ومن العلماء الذين جمعوا بين التاريخ والجغرافيا، محمد بن يوسف أبو عبد الله التاريخي الوارق، ألّف بالأندلس للحكم المستنصركتاباً ضخماً في مسالك أفريقية وممالكها والف في أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتباً جمة[1].

وإلى جانب هذه العلوم نجد أن العلوم التجريبية قد تقدمت تقدماً كبيراً في الأندلس ونبغ كثير من الأندلسيين في علوم الطب، والهندسة والرياضيات، والفلك، وقد اغترفت أوربا من هذالمعين كثيراً ، وكان لعلوم المسلمين الأندلسيين أثر كبير في النهضة الأوربية الحديثة.

علوم الطب والصيدلة:

كانت ممارسة الأندلسيين لعلوم الطب والصيدلة متواضعة في مبدأ الأمر على يد النصارى فقد (كان يعول في الطب بالأندلس على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له الأبريشم. ومعناه المجموع أو الجامع، وكان قوم من النصارى يتطببون، ولم تكن لهم بصارة بصناعة الطب والفلسفة والهندسة في أيام عبد الرحمن بن الحكم[2].

ولكن سرعان ما نبغ الأندلسيون بعد ذلك في علم الطب، واشتهر عدد من الأطباء في هذا العصر منهم : الحراني الذي قدم من المشرق في أيام الأمير محمد، وأدخل إلى الأندلس معجوناً كان يبيع السقية منه بخمسين ديناراً فكسب به مالاً[3].

ومن الأطباء الذين ذاع صيتهم في آخر أيام الأمير عبد الله وأول دولة الأمير عبد الرحمن الناصر، الطبيب ابن ملوكه النصراني، وكان يصنع بيده، ويفصد العروق، وكان على باب داره ثلاثون كرسياً لقعود الناس[1].

---

[1] الضبي، بغية المتلمس، رقم (403).

[2] ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت في القرن الرابع الهجري)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955م، ص92.

[3] ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص94.

ومن الطبيادلة ذائعي الصيت محمد بن أبان، وكان طبيباً حاذقاً مجرباً، وجواد وله (دواء الراهب) والشرابات والسفوفات المنسوبة إليه وإلى حمدين وبني حمدين[2] ومن أطباء عصر الأمير عبد الله: اسحاق الطبيب، وكان صانعاً بيده مجرباً، تحكي له منافع عظيمة وآثار عجيبة وتحنك فاق به جميع أهل دهره، فلما تولى الناصر لدين الله وتتابعت الخيرات في أيامه، ودخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم، تقدم الطب تقدماً كبيراً، وظهر مشاهير الأطباء في عصره[3] وكان من بين الكتب الطبية المهمة التي دخلت الأندلس في عصر الناصر لدين الله كتاب (ديسقوريدس) الذي أرسله قسطنطين السابع إمبراطور بيزنطة إلى الناصر في سنة (337هـ/949.948م)، وكان لوصول هذا الكتاب وترجمته من قبل الأندلسيين أثر حاسم في مجرى الدراسات الطبية والنباتية في الأندلس، وأفاد من ذلك عبد الرحمن بن الهيثم طبيب المنصور بن أبي عامر حيث ألف كتاباً سماه (كتاب الكمال والتمام في الأدوية المسهلة والمقيئة)، وكتاب (الاكتفاء بالدواء من خواص الأشياء)[4].

وكان محمد بن عبدون الجبلي من أطباء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق سنة (347هـ/ 958م)، ودخل البصرة ومصر ودبر مارستانيهما، وتمهر في الطب ونبل فيه وأحكم كثيراً من أصوله، ثم رجع إلى الأندلس سنة (360هـ/971) فخدم المستنصر بالله والمؤيد بالله في الطب[5].

وخدم أبوبكر سليمانبن باج الناصر لدين الله بالطب، وكان طبيباً نبيلاً. وعالج الناصر لدين الله من رمد عرض له من يومه، وعالج شنيفاً صاحب البرد من

---

[1] المصدر نفسه، ص97.
[2] بالنثيا، ص462.
[3] ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص97-98.
[4] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص462-463.
[5] المرجع نفسه، ص461.

ضيق النفس بلعوق من يومه بعد أن أعيا علاجه، وكان يعالج وجع الخاصرة بحب من حينه، وكان ضنيناً بتركيب الأدوية[1].

ومن أطباء الناصر لدين الله أبو حفص عمر بن بريق ، وكان طبيباً نبيلاً قارئاً للقرآن، حسن الصوت، رحل إلى القيروان ولزم الطبيب أبي جعفر الجزار لمدة ستة أشهر وأدخل معه إلى الأندلس كتاب (زاد المسافر) وهو كتاب في الطب[2]. وفي أواخر عصر الخليفة الناصر ظهر الطبيب أبو الوليد محمد بن حسين المعروف بالكتاني، وأدرك صدراً من دولة المستنصر، وكان رجلاً بهياً سرياً، حلو اللسان محبوباً من العامة والخاصة لسخائه بعلمه ومواساته بنفسه، ولم يكن يرغب في المال ولا في جمعه، وكان لطيفاً في علاج المرضى حسن الولوج، عالماً نحريراً [3].

ومن الأطباء الذين برعوا في الطب في عصر الخلافة الطبيب والجراح اللامع خلف بن عباس الزهراوي الذي ينسب إليه وضع أسس الجراحة الطبية الحديثة، كما برز من الأطباء آنذاك عريب بن سعد القرطبي الذي صنف كتاباً في طب الأطفال، واشتهر أيضاً الطبيب ابن جلجل بدراساته العميقه في الطب والصيدلة[4].

ويعتبر كتاب الزهراوي (التعريف لمن عجز عن التأليف) موسوعة طبية متكاملة وقد ترجمه إلى اللاتينية جيرارد الكرموني[5]. وقد أنشأ الخليفة الحكم المستنصر خزانة للطب بقصر الزهراء لم يكن قط مثلها، وتولى إنشاءها له طبيبه أحمد بن يونس الحراني، ورتب لها اثني عشر صبياً من الصقالية لطباخة الأشربة وصناعة المعجون،

[1] ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص102.
[2] المصدر نفسه، ص107.
[3] المصدر نفسه، ص109.
[4] سعد البشرى، مرجع سابق، ص458 .
[5] بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص466.

وأستأذن الحراني الخليفة الحكم أن يعطي منها من احتاج من المساكين والمرضى فأباح له ذلك[1].

الرياضيات والفلك والهندسة:

أما علوم الرياضيات والفلك والهندسة فترجع بدايات اهتمام الأندلسيين بها إلى عصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) الذي بعث بعباس بن ناصح إلى العراق ليأتيه بالكتب القديمة فأدخل كتاب السند هند وغيره من الكتب الأخرى وقد سبقت الإشارة إلى ذلك وكان الشاعر عبد الله بن الشمر من أوائل العلماء الأندلسيين الذين اهتموا بدراسة علوم الفلك والهيئة والرياضيات في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط[2].

وجاء من بعده العالم الشهير عباس بن فرناس (ت274هـ) ليدفع بهذا العلم قدماً الى الأمام وقد كان فيلسوفاً حاذقاً وشاعراً مفلقاً مع علم التنجيم، وهو أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة..، وكان كثير الاختراع والتوليد واسع الحيل)[3]. وبلغ من علمه بالفلك أن صنع في بيته قبة علي هيئة السماء تتراءى للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود. وقد احتال في تطيير جثمانه فكسا نفسه الريش، وتهيأ له أن طار في الجو من ناحية الرصافة بقرطبة، واستقل في الهواء فحلق فيه حتى وقع علي مسافة بعيدة[4].

أما مسلمة بن أحمد المجريطي الذي عاش في عصر الخليفة الحكم فيعتبر إمام الرياضيين بالأندلس في وقته كما كان عالماً بعلم الأفلاك و حركات النجوم، وكانت له

---

[1] ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص112-113.
[2] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، رقم 699.
[3] ابن سعيد ، المغرب ، 133/1 .
[4] المصدر نفسه، 133/1.

عناية بأرصاد الكواكب، وشغف بتفهم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي. وله كتاب حسن في تمام علم العدد، وكتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني، وعني بزيج محمد بن موسى الخوارزمي، وصرف تاريخه الفارسي إلي التاريخ العربي[1].

ومن العلماء الأندلسيين الذين نبغوا في الطب والهندسة والرياضيات والفلك خلال هذه الفترة: أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمح المهندس الغرناطي، وكان في عصر الحكم. قال القاضي صاعد الطليطلي: (إن ابن السمح كان محققاً لعلم العدد والهندسة متقدماً في علم الهيئة والأفلاك وحركات النجوم. وكانت له مع ذلك عناية بالطب، وله تآليف حسان منها: كتاب المدخل إلي الهندسة في تفسير كتاب إقليدس، ومنها كتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات، ومنها كتاب طبيعة العدد، ومنها كتابه الكبير في الهندسة يقضي فيه أجزاءها من الخط المستقيم والمقوس والمنحني، ومنها كتابان في الآلة المسماة بالأسطرلاب)[2].

ومن هؤلاء العلماء، أبو القاسم أحمد بن عبد الله المعروف بابن الصفار، وكان متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم. وله زيج مختصر علي مذهب السند هند وكتاب في العمل بالإسطرلاب. وكان من جملة تلامذة مسلمة المجريطي. وكان يعلم في مسجد قرطبة الجامع علوم العدد والهندسة والفلك[3].

أماكن التعليم في بلاد الأندلس:-

كان المسجد هو المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الأندلسيون تعليمهم كما كان الحال في بلاد المشرق قبل نشأة المدارس، ولذلك فإن معظم مساجد الأندلس لا

[1] ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي (ت 688هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص482-483.
[2] المصدر نفسه، ص483.
[3] المصدر نفسه، ص484.

سيما في المدن الكبرى مثل قرطبة العاصمة، وطليطلة، وأشبيلية، وغرناطة، وبلنسية، وجيّان وغيرها زاخرة وعامرة بحلقات العلم وكان يدرس في هذه الحلقات العلمية جل هؤلاء العلماء الذين تحدثنا عنهم في الصفحات الماضية وكان مسجد قرطبة الجامع يمثل قمة النشاط العلمي في الأندلس. وكان مسجد مدينة الزهراء التي انتقلت إليها مؤسسات الدولة في عصر الخلافة من المساجد التي شهدت حركة علمية نشطة. (فقد كان الأديب اللغوي أبو علي القالي يعقد مجالسه العلمية في جامع الزهراء فتتقاطر عليه أفواج الطلبة للأخذ منه، وذلك في كل يوم خميس. وكان يكتب عنه أكثر من أربعمائة طالب في وقت إملائه الأمالي)[1].

ومن أمكنة التعليم الأخرى التي عرفتها بلاد الأندلس في هذه الفترة (المكاتب) و(المكتب) عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الأطفال، وقد يكون غرفة في منزل، أو حانوتاً يكترى، أو فناء، ولم يكن له مكان معين يقام فيه[2]. وكانت قرطبة تكتظ بكتاتيب أخرى قبل الكتاتيب التي أنشأها الحكم، وكان معلم الكتاتيب يسمى مؤدباً ، وكان يأخذ أجراً علي تعليمه الناشئة[3].

ومن أمكنة التعليم الأخرى في الأندلس منازل العلماء، وقصور الحكام والأمراء، فهناك ظروف معينة حتمت علي بعض العلماء القيام بالتدريس في منازلهم[4] كما كان الأمراء يتخذون بعض المؤدبين لأبنائهم وهذا يقتضي بالطبع أن يتم التعليم داخل القصر السلطاني. فقد كان أبو عبد الملك عثمان بن المثنى القيسي القرطبي عالماً باللغة مجوداً للشعر مؤدباً لأبناء عبد الرحمن بن الحكم، والأمير محمد بن عبد الرحمن، وكان له مكتب بقصر الخلافة. كما كان أبو محمد عبد الله بن بكر الكلاعي

[1] سعد البشرى، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الخلافة – رسالة ماجستير (غير منشورة).
[2] محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة الطبعة الأولى 1982م، ص220-221.
[3] شوقي ضيف، عصر الدول والامارات، الأندلس ، ص61.
[4] يوسف العريني، الحياة العلمية في الأندلس في عصر ملوك الطوائف، ص143،14 (128) ابن سعيد، المغرب، 112/1، 113.

مؤدباً لأبناء الأمير عبدالرحمن أيضاً وكان مؤدباً بالنحو، عالماً باللسان مبرزاً في الشعر[1].

أما عن المنهج التعليمي في الكتاتيب، فقد كان يشتمل علي تحفيظ القرآن الكريم، وبعض نصوص الحديث النبوي، وتعليم النحو والكتابة والخط مع تحفيظ بعض النصوص من الأشعار والرسائل البارعة[2].

ويرجع إلى الخليفة الحكم المستنصر تأسيس أول جامعة في قرطبة، وكانت المناهج فيها متقدمة جداً ، فقد اشتمل المنهج علي تدريس اللغة العربية بفروعها المختلفة، والعلوم الدينية والتاريخ إضافة إلي القضاء وشيء من العلوم الطبية بصورة عملية والرياضيات والفلك، وصارت قرطبة ومن بعدها طليطلة من أحب المناطق العلمية للأوربيين الغربيين[3].

وقد نالت المرأة الأندلسية نصيبها من التعليم أيضاً ، إذ يروى أنه كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة و سبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا في ناحية واحدة فقط من نواحيها[4].

هذه جوانب من نشاط الأندلسيين العلمي خلال فترة البحث وقد رأينا تضافر جهود الحكام والرعية والعلماء في دفع المسيرة العلمية وتقدمها. ولم يتوان الحكام في تقديم أي عونٍ مادي أو معنوي للعلم والعلماء حتى صارت بلاد الأندلس تنافس بلاد المشرق في كثير من المجالات العلمية، بل أصبحت قبلة للطلاب والعلماء المشارقة

---

[1] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص61-62.

[2] T.B.Irving, Falcan of spain, Printed at Ashraf

[3] press, lahore, Pakistan 1962, PP 185 - 160

[4] محيي الدين بن عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1387هـ/1967م، ص456-457.

الذين كانوا يجدون فيها كل رعاية وعناية وترحاب. كما أمها الأوربيون بكثرة لينهلوا من مراكزها العلمية الزاهرة في قرطبة واشبيلية وطليطلة.

المصادر والمراجع:

1. ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح أفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1987م.
2. ابن عذارى: أبو العباس احمد بن عذارى، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، حققه ج.س كولان وليفي بروفنسال ، دار الثقافة بيروت – لبنان ج2.
3. عبد الرحمن علي الحجي، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم – دمشق، الطبعة الثالثة 1407هـ/1987م.
4. محمد بن احمد بن علي الفاسي المكي (ت 832هـ)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (بدون تاريخ طبع).
5. ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني (ت 275هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، مجلد (1).
6. ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت367هـ/977م) تاريخ فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية – القاهرة الطبعة الأولى 1402هـ/1982م.
7. الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ/989م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة 1973م.

8. عياض: أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت – 1387هـ/ 1967م.
9. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة 1389هـ/1969.
10. المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1632م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت 1388هـ/1968م.
11. ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى بن سعيدى(ت 685هـ/1286م)، المغرب في حلي المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر 1964م.
12. ابن حيَّان: أبو مروان حيَّان بن خلف حسين القرطبي (ت 496هـ/1076م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي . بيروت 1393هـ/1973م.
13. ابن حيَّان، المقتبس، نشره ملشور م. أنطونية، باريس 1937، ص 34.
14. الحميدي: أبوعبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي (ت 488هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة 1966م.
15. الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، 1967م
16. لطفي عبد البديع، الإسلام في أسبانيا، مكتبة النَّهضة المصريَّة، القاهرة، الطبعة الأولى1958.
17. الزبيدي، طبقات النَّحويين، ص 209، ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت 403هـ) تاريخ علماء الأندلس.

18. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1182)، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، الدار المصريَّة للتأليف والترجمة، 1966م.
19. ابن فرحون، أبو إسحق إبراهيم بن علي (ت799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1972م.
20. سعد عبد الله البشري، الحياة العلميَّة في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، 422 . 488هـ، منشورات مركز الملك فيصل، الرياض، 1414هـ/1993م.
21. آنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، الطبعة الأولى 1955م.
22. يوسف علي بن إبراهيم العريني، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، منشورات مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض 1416هـ/1995م.
23. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت808هـ)، المقدمة، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط 4 1398هـ/ 1978م.
24. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات – الأندلس)، دار المعارف، مصر 1989م.
25. ابن خفاجة، أبو اسحاق ابراهيم بن أبي الفتح (ت 533هـ)، ديوان ابن خفاجة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1381هـ/1961م.
26. ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ)الحُلة السِّيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، الدار العربية للطباعة والنشر، 1963م.

27. ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت في القرن الرابع الهجري)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955م.
28. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي (ت 688هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.
29. محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة الطبعة الأولى 1982م.
30. T.B.Irving, Falcan of spain, Printed at Ashraf